لمحض الجهل والطغيان مثل ما كان من نمرود فانه كان يحدث نفسه بأنه يقاتل رب السماء وكما
يحكى عن كل من ادعى الربوبية ومثل فرعون فانه قال لتكبره انا ربكم الاعلى اذ استنكف
ان يكون عبداً لله ولذلك قال الله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين
وقال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون الى قوله ولياً ولا نصيراً
وقال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن الاية **القسم الثاني** في التكبر على الرسل وذلك
من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن
الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان انه محق في ذلك
وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل كما اخبر
الله عنهم انؤمن لبشرين مثلنا ان انتم الا بشر مثلنا ولئن اطعتم بشراً مثلكم الاية وقوله تعالى
لولا انزل عليه ملك وقال تعالى حكاية عن فرعون واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق
وقال وهب قال له موسى عليه السلام يا فرعون آمن ولك ملكك قال حتى اشاور هامان فشاوره
فقال له بينما انت رب تعبد اذ ترجع عبداً تعبد فاستنكف عن عبودية الله وعن اتباع
موسى عليه السلام وقالت قريش لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعنون الوليد
ابن المغيرة وابو مسعود الثقفي طلبوا من هو اعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم اذ قالوا
غلام يتيم كيف يبعثه الله الينا فقال الله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك وقال الله تعالى
ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا استحقاراً لهم واستبعاداً لتقدمهم وقالت
قريش عند مجلس النبي وعنده ضعفاء الفقراء ازدراء بهم وتكبراً عن مجالستهم فا
نزل الله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الاية واخبر الله عن تعجبهم
حين دخلوا جهنم ولم يروا الذين ازدروهم فقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم
من الاشرار يعني بلالاً وعماراً وصهيباً والمقداد ثم كان منهم من منعه
الكبر عن الفكر والمعرفة فجهل كون النبي صلى الله عليه وسلم محقاً ومنهم من عرف
ذلك ومنعه الكبر من الاعتراف قال الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال
تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلماً وعلواً وهذا الكبر قريب من التكبر على الله

وان كان دونه فهو تكبر على قبول أمر الله وعن التواضع لرسله **الثالث** التكبر
على الخلق بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن المطاوعة لهم وتدعوه الى
الترفع عليهم فيستصغرهم ويأنف من مساواتهم وهذا وان كان دون الاول والثاني
فهو ايضاً عظيم من وجهين احدهما ان الكبر والعز والعلاء لا يليق الا بالملك القادر
فاما العبد المملوك العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن اين يليق به الكبر فمهما تكبر العبد
فقد نازع الله في صفة لا تليق الا بجلاله تعالى ومثاله ان يأخذ الغلام تاج الملك فيضعه
على راسه ويجلس على سريره فما اجوزه بالمقت وما احقه بالخزي والنكال وما اشد
استجراءه على مولاه وما اقبح ما تعاطاه والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى العظمة
ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته اي انه خاص صفتي ولا يليق الا
بي والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي واذا كان الكبر على عباده لا يليق
الا به تعالى فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه اذ الذي يسترذل خواص غلمان الملك
ويترفع عليهم ويستأثر بما حق الملك ان يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض
امره وان لم تبلغ درجته درجة من اراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه
فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد
نازع الله في حقه نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون
ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين
منازعته في اصل الملك **الوجه الثاني** الذي تعظم به رذيلة الكبر انه يدعو
الى مخالفة الله في اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف
عن قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون انهم يتباحثون
في اسرار الدين ثم انهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم
انف الآخر عن قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وهذا
من اخلاق الكفرة والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا
لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فكل من يناظر للغلبة والافحام لا ليغتنم الحق

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)